سبع عبادات لبر الوالدين بعد وفاتهما

في هذه الدنيا هناك من يقوم بواجب البر وحق الوالدين في حياتهما، ويتمنى لو أمكنه الاستمرار في هذا الفضل وذاك الواجب بعد وفاتهما.

وربما تجد من قصر في حق والديه في حياتهما، ولم يقم بحق برهما حق القيام، وربما كان هناك من أساء إلى والديه، أو عقهما ويريد أن يتوب ويكفر عن هذا، ويود لو أمكنه برهما بعد موتهما.

فنقول لهؤلاء جميعا: إن من فضل الله تعالى على الآباء والأبناء جميعا أنه لم يوقف البر على حياة الوالدين، ولم يقطعه بموتهما، بل أبقى حقوق البر على الابن بعد موت والديه لمن أراد الخير، وليفتح أبواب النفع أمام الحي والميت جميعا.

فعن أبي أسيد الساعدي: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله! هل بقي من بر أبويَّ شيء أبرهما بعد موتهما؟

قال: نعم؛ الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة

الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما)(رواه احمد والطبراني).

فذكر النبي عليه الصلاة والسلام صورا من صور بر الأبناء للآباء بعد موتهم فمن ذلك:

أولا: الصلاة عليهما :

والصلاة هنا معناها الدعاء لهما، أي أن تكثر الدعاء لهما بكل خير ممكن حصوله لهما وينفعهما في الآخرة وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام الدعاء علامة على صلاح الابن كما في الحديث : (وولد صالح يدعو له)، كما أنه وصية الله تعالى للمؤمنين في كتابه الكريم حيث أمرهم بقوله:{وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا} ومن الدعاء أن تدعو أن يوسع الله قبورهما، وأن يجعلها روضة من رياض الجنة، وأن يرزقهما النعيم فيها، وأن يرفع الله درجاتهما، ويتقبل أعمالهما، ويجعلهما مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وأن يجعلهما في رفقة النبي عليه الصلاة والسلام في أعلى عليين في الفردوس الأعلى.

هل الصلاح في الولد شرط ليدعو له ؟

الدعاء من الولد مقبول ، سواء كان صالحا أو غير صالح، لكن الحديث خصه بالصلاح لأنه مظنة أن يدعو لوالده، بل الدعاء مقبول من الولد وغيره من الأصدقاء والإخوان لكن دعاء الولد أولى لأنه من كسب ابن آدم نفسه، فقوله: (ولد صالح) لتقرير الحال والأولوية، وإلا فكل مسلم يدعو لأي مسلم فإن دعاءه

نافع له، ومن أفضل الأعمال دعاؤك لأخيك بظهر الغيب.

ثانيا والاستغفار لهما:

الاستغفار هو طلب العفو والصفح والمغفرة، وهو دعاء الأنبياء لوالديهم كما قال نوح عليه السلام: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[نوح:28].

وقال إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم:41].

وثبت في الحديث الصحيح في مسند أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَّى لِي هَذِهِ؟! فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» [صحيح رواه أحمد].

ثالثا: وإنفاذ عهدهما من بعدهما :

قال بعض العلماء: المقصود هنا هو الوصية.. والحق أن العهد أكبر من الوصية - وإن كانت الوصية أوله وآكده.. فإذا كانت بالثلث أو أقل وجب تنفيذها، وإن زادت استحب لهم تنفيذها من باب البر والفضل، لا من باب الوجوب والحتم.

ويدخل في معنى العهد: إذا كان أحد الوالدين عهد بالإحسان إلى أخ لحاجته، أو إلى اخت لفقر أو مرض، أو إلى جار، أو قريب بعينه، أو صاحب، أو صديق، أو بالاهتمام بشيء معين، فمن البر تنفيذ ذلك والقيام به ما لم يكن إثما أو معصية.

رابعا: وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما :

فصلة الرحم واجبة في حد ذاتها، وتكون أوجبَ بعد وفاة الأصول كالأب والأم، وهذه الصلة تشمل الأعمام والعمات وأبنائهم، والأخوال والخالات وأبنائهم، والإخوة والأخوات من باب أولى، فنحرص على صلتهم والإحسان إليهم، وانتقاء الكلمات الطيبة لهم، وزيارتهم باستمرار حتى لا تنقطع الرحم بعد وفاة الوالدين، وإنما تظل متصلةً؛ فننال بها أجر صلة الرحم وبر الوالدين بعد موتهما.

خامسا: إكرام صديقهما :

فكلٌّ من الآباء والأمهات يكون لديهم أصدقاء مقربون منهم في حياتهم، فمن عظيم البر والحب للآباء والأمهات صلة هؤلاء الأصدقاء بعد وفاة الوالدين؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» [رواه مسلم].

ومما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر نفسه، "أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه، فبينما هو يومًا على ذلك الحمار، إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة وقال: اشدد بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروَّح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟! فقال: إني سمعت رسول الله يقول: (إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولى)، وإن أباه كان ودًّا لعمر".

وعن أبي بُردة ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وعن أبيه قال: قَدِمتُ المدينةَ فأتاني عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما فقال: أتدري لِمَ أتيتُكَ؟ قلتُ:

لا. قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ أحَبَّ أنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ؛ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ)[أي: أصدقاء أبيه من بعد موته]، وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاءٌ وَوُدٌّ، فأحببتُ أنْ أصِلَ ذاك. [رواه ابن حبان في صحيحه].

سادسا / ومن صور بر الوالدين بعد موتهما أيضا: قضاء الديون والنذور والكفارات:

فالميت مرهون بدينه، أي محبوس عن الجنة بسببه حتى يقضى عنه، وفي الحديث: (يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين).. وأما النذر فقد جاء في حديث ابن عباس: (أنَّ امرأةً رَكِبتِ البَحرَ فنذرَت، إنِ اللهُ تبارَكَ وتعالى أنجاها أن تَصومَ شَهْرًا، فأنجاها اللهُ عزَّ وجلَّ، فلَم تَصُمْ حتَّى ماتَت، فجاءَتْ قَرابةٌ لَها إمَّا أُختَها أو ابنتَها إلى النَّبيِّ – صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ – فذَكَرَت ذلِكَ لهُ، فقالَ: «أرأيتَكِ لَو كانَ علَيها دَينٌ كُنتِ تَقضينَهُ» ؟ قالَت: نعَم. قال: «فدَينُ اللَّهِ أحقُّ أن يُقضَى، فَاقضِ عَن أمِّكِ» (صحيح على شرط الشيخين).

ولا شك أن هذا الحديث يشمل الكفارات، فهي أخت للنذور. وقد ثبت قوله عليه الصلاة والسلام: «من مات وعليه صوم صام عنه وليه»، وكذا صحت الأحاديث في الحج عن الميت.

سابعا/ الصدقة عنهما:

وقد أجمع أهل العلم على وصول ثواب الصدقة إلى الميت، كما ثبت في صحيح البخاريّ عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ: (أنَّ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه

تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهو غَائِبٌ عَنْهَا، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شيءٌ إنْ تَصَدَّقْتُ به عَنْهَا؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَ: فإنِّي أُشْهِدُكَ أنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ (المثمر) صَدَقَةٌ عَلَيْهَا).

ومن أفضل الصدقة الوقفُ النافع لهما: لأن أجره دائم، ومن أمثلته ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)، وفي رواية: «مَنْ تَرَكَ وَلَدًا يَدْعُو لَهُ» [رواه بن ماجه وصححه الألباني].

فبناء المساجد والمستشفيات الخيرية لعلاج المحتاجين، وحفر الآبار، وطباعة المصاحف وكتب العلم النافع، وكفالة الأيتام والأرامل، وكفالة الدعاة وطلبة العلم.. هذا كله من العمل الذي يستمر نفعه ويبقى أثره أوقاتا طويلة.

وأخيرا فإن من أعظم ما يقدمه الولد لوالديه بعد موتهما صلاحَه هو في نفسه، والتزامَه العمل الصالح:

والولد كلمة تشتمل الذكر والأنثى، فيدخل في ذلك الابن والبنت إذا كانا صالحين، والصالح هو الذي قام بحقوق الله وحقوق العباد.

وكل من ربى أولاده وأحسن تربيتهم على الإسلام ورعايتهم وتوجيههم يكتب له أجر كل الأعمال الصالحة التي يقوم بها أبناؤه ،وكل مكرمة يعلّمها الأهل لأبنائهم تزيد من مقامهم ودرجتهم يوم القيامة حتى يبلغ المرء بذلك أعلى

الدرجات، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" رواه مسلم

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

فالولد الصالح من جملة الأثر الذي يتركه المؤمن في الدنيا بعد موته

ومن فضائل إحسان تربية الأولاد التكريم في الدنيا بالذكر الحسن، وقد مدح الله تعالى إسماعيل عليه السلام في كتابه، فكان من أهم ما أثنى به عليه أنه كان مهتما بأهله يأمرهم بالصلاة ويربيهم على العبادة فقال سبحانه : (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً) (مريم:55)

وكرم الله تعالى عبدا صالحا من عباده فذكره باسمه في القرآن، وذلك لوصيته العظيمة لابنه ولحرصه على تربيته على العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، قال تعالى :(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان:13).

ومن فضائل تربية الأولاد الشرف العظيم يوم القيامة، لأن من حسن تربية

الأولاد تحفيظهم القرآن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في جزاء صاحب القرآن يوم القيامة:« ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن » رواه أحمد وحسنه الألباني.

وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن أنس الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه مثل ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا .

اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا، وارحمهم يارب كما ربونا صغارا، واجمعنا بهم في جناتك جنات النعيم.